مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة

التوجهات النظرية المفسرة للتهميش والاستبعاد الاجتماعي والفقر

أ. إسلام محمد رمضان على العمادي(*)

التمهيد :

قد عرفت المجتمعات البشرية تطورات متلاحقة على كل المستويات أثرت بشكل واضح على التركيبه الطبقية للسكان، وعلى نوعية أنماط معيشتها وأساليب تفكيرها وتفاعلاتها مع محيطها الإنساني والمجتمعي، فستفحلت ظواهر ومشكلات خطيرة رهنت مستقبل الشعوب والأمم، وربطته بمدى قدرتها على مواجهتها والتحدي لها.

فالاستبعاد الاجتماعي يعتبر آفة من آفات المجتمع والعصر حيث يلخص كل أشكال التميز والتفرقة بين الناس سواء من حيث العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الانتماء الطبقي، حيث دخلت بعض المفاهيم منها الاقصاء والتهميش والاستبعاد إلى الكتابات التي تناولت بعض الفئات الاجتماعية المحرومه من الرعاية والاولي بها التي تضررت من السياسيات الاجتماعية للبلاد وخاصة بعد خصخصة الشركات العامه وشملت هذه الفئات الفقراء والمعاقين وبعض الشرائح النسائية والأطفال وبخاصة العاملون منهم وبعض فئات العمال مثل عمال التراحيل والبائعه الجائلين وغيرها من الفئات المهمشة.

فعند سماع كلمة الاستبعاد يتبادر للذهن أنه التهميش على مستوي المفهوم السلبي وإنما أنتوني غدنز تناول المفهوم من وجهتين نظريتين مختلفتين تماماً، الاولي على أنهم المهمشون الذين لم تتح لهم فرصة الاندماج ويقبعون في القاع الاجتماعي والرأي الآخر على أنهم جماعة من نخبة

(*) باحثة ماجستير بقسم علم الاجتماع – كلية الآداب جامعة الوادي الجديد.

المجتمع أو من أطلق عليهم جماعات الصفوة أصحاب الاستبعاد الإرادي حيث تنسحب الجماعات الثرية من النظم العامة ويختار أعضاؤها أن يعيشوا بمعزل عن بقية المجتمع وبدأت هذه الجماعات تنسحب من نظم التعليم والصحه العامة إلى تكوين نظم خاصه بهم سواء تعليمية أو صحية أو ترفهية.

وأن المحاولات التي اتخذتها الدولة لمحاربة الفقر والعمل على حل هذه المشكلة يركز أغلبها على موضوع الضمان الاجتماعي أي الدعم المادي للفقراء وتوفير الخدمات اللازمة لتحسين مستوي معيشتهم من تعليم وصحه ومواصلات ومهارات وغيرها وتوفير فرص العمل والانشطة والمشروعات الصغير من خلال تيسير القروض الصغيره ولم تضع خطة واضحه لدعم قدرة الفقراء على المشاركة وإبداء الراي على كل المستويات والاستفادة من قدراتهم المعنويه وهذا يشير إلى بعد من إبعاد الاستبعاد الاجتماعي وليس مقصورًا على الإمكانيات المادية فقط.

وعلى الرغم من الصعوبات والتحفظات النظرية والمنهجية التي تواجه التقديرات والدراسات المقارنة للفقر عبر الثقافات والمجتمعات ذات الخصائص المختلفة، فإن نتائج هذه الدراسات تبرز حقيقة هامة، وهي ارتباط الفقر بالتخلف بصوره وأشكاله المتعددة وما تعكسه من تدني نصيب الفرد من الدخل القومي، وندرة رؤوس الأموال، وارتفاع مستوي البطالة وإنخفاض الانتاجية، وتدني مستويات المهارة وغيرها من الخصائص السكانية وارتفاع معدل الزيادة السكانية ونقص الامكانات وعجز القدرات.

وفي هذا الفصل تتناول الباحثه التوجهات النظرية لكل من الاستبعاد الاجتماعي والتهميش الاجتماعي والفقر وعلاقة كل من الاستبعاد والتهميش والفقر معاً.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة

أولاً:- التوجهات النظرية المفسره للاستبعاد الاجتماعي:-

يعد جيدنز رائد دراسات الاستبعاد حيث لفتت الانتباه مبكراً إلي قضية الاستبعاد الاجتماعي، حيث ركز علي تحليل شكلين من أشكال الاستبعاد في المجتمعات المعاصرة هما استبعاد يجري للقابعين في قاع المجتمع يعزلهم عن التيار الرئيسي للفرص التي يتيحها المجتمع، واستبعاد يجري عند القمة وهو استبعاد إرادي تقوم فيه جماعات الصفوة بالانسحاب من النظم العامة مثل نظم الصحة والتعليم وغيرها، ليعيشوا بمعزل عن بافي المجتمع ثم تعيش في نظم معزولة محاطة بأسوار (١).

أما بريان باري وجوليان لوغراند فقد ناقشا الاستبعاد الاجتماعي من خلال النظرية المعيارية حيث حددا ما ينبغي أن يكون علي أساسه قياس عملية الاستبعاد الاجتماعي، ويتضح ذلك من نقاشهم حول الرفاه أو الإنصاف وكذلك مفهوم الاستبعاد الطوعي أو لعزلة الاجتماعية، أو كما أشار باري إلي أن الاستبعاد لم يعد يحدث بالشكل المتعارف عليه قديماً والذي يعني إستبعاد أقلية بل إنه يحدث أيضاً العكس مثال ذلك ما حدث من استبعاد البيض في جنوب أفريقيا والذين كانوا يشكلون ٢٠% من السكان باقي السكان من الوصول إلي أهم المناصب التعليمية والمهنية والسياسية (٢).

ذهب المفكرون إلي اتجاهين هما، يركز الأول علي مشكلات معينة وكثيراً ما تكون حادة أي هي التي تعد أمثلة أو حالات للاستبعاد الاجتماعي مثل حمل المراهقات والتشرد والبطالة، أما الاتجاه الثاني فيصورر الاستبعاد الاجتماعي باعتباره غياب المشاركة في الجوانب الرئيسية من حياة المجتمع،

(١) جون هيلز وآخرون: ترجمة محمد الجوهري، الاستبعاد الاجتماعي"محاولة للفهم". عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٧- ص ١١.

(٢) نادية سلامة هاشم حسن: تعليم الجيل الرقمي بالمناطق المحرومة. جامعة القاهرة، كلية التربية، ٢٠١٧- ص ١٣٠.

مثال ذلك يطرح روبنسون وأوبنهايم أربعة مؤشرات رئيسية لمستوي الاستبعاد الاجتماعي في بريطانيا وهم نسبة السكان الذين يقل نصيبهم عن ٥٠% من متوسط دخل الأسرة، ومعدل البطالة وفقاً لما حددته منظمة العمل الدولية، ونسبة السكان البالغين ١٦سنة من العمر والذين أخفقوا في الوصول إلي ٢٠ نقطة علي الأقل من امتحانات شهادة الـ GCSE (المعادلة للثانوية العامة العربية)، ونسبة الوفيات المعيارية وفقاً للطبقة الاجتماعية بالقياس إلي باقي الطبقات الاجتماعية، وكذلك يستعمل بوجام وهوارث وآخرون طائفة من المؤشرات المتعلقة بالدخل والالتحاق بسوق العمل والتفاعل الاجتماعي والصحة(١).

ويميل روبين إلي الاعتقاد بأن أفضل ما قدم وتضمنته الأدبيات من تعاريف وكانت أقرب إلي التطبيق، حيث أقترحوا الكُتاب أن الاستبعاد الاجتماعي يدور في فلك نقطتين أساسيتين لا يتعداهما علي النحو التالي يعد الفرد مستبعداً اجتماعياً فيما لو كان هو أو هي مقيم في النطاق الجغرافي للمجتمع، هو أو هي لا يستطيع أو يمنع من المشاركة في الأنشطة العادية اليومية لمواطني هذا المجتمع. وقد استمروا بهذا النهج في التعامل مع القضية الاشكالية التي تعني بتشخيص الأنشطة العادية بتحديد خمسة أبعاد وهما :- نشاط إستهلاكي يقود إلي أساليب قياس تقليدية للفقر، أنشطة إدخارية تتضمن معاشات تقاعدية إدخارات أو ملكية المنزل، نشاط إنتاجي حيث يمكن تعريفه في عبارات مثل الإنخرط في النشاط الاقتصادي أو النشاط القيمي الإجتماعي مثل العمل بأجر أو التعليم أو التدريب أو البحث فيما هو أبعد من النطاق الأسري، نشاط سياسي ويعرف بأنه الإنخراط من بعض الجهود الجمعية وحماية البيئة المادية والإجتماعية وعلي نطاق واسع، نشاط إجتماعي ومحدد

(١) جون هيلز وآخرون: ترجمة محمد الجوهري. مرجع سابق– ص ٢٧.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة

بالإنخراط في تفاعل إجتماعي مميز بالأسرة والأصدقاء وتحديداً بالجماعة الثقافية أو المجتمع المحلي(١).

وتتفق الباحثة مع ما توصل إلية الاتجاه الفكري المتكامل عند دراسة الاستبعاد الاجتماعي حيث يتأثر بالمستوي الفردي مثل السن والنوع والعرق والمعتقدات والقيم، ومستوي الأسرة مثل الارتباط بالشريك والاطفال ومسؤوليات الرعاية، مستوي المجتمع المحلي مثل البيئة الاجتماعية والمادية والمدارس والصحة والخدمات الاجتماعية، مستوي الإقليم مثل سوق العمل والنقل، المستوي القومي مثل المؤثرات الثقافية والضمان الاجتماعي والإطار التشريعي، المستوي العالمي مثل التجارة الدولية والهجرة وتغير المناخ.

ثانياً:- التوجهات النظرية المفسره للتهميش الاجتماعي:-

١) الدراسات الهندسية والبيئة :-

حيث اهتم بعض المهندسين والمعنيين بأمور البيئة في أمريكا اللاتنية بظاهرة انتشار الإسكان العشوائي المتمثل في العشش والأكواخ المبنية من الخشب أو الصفيح، التي تلاصق المدن الكبيرة وأطلقوا علي الأماكن العشوائية وعلي سكانها المهمشين وكانت نظرتهم تتسم بالسطحية وخلاصة آرائهم، أن إزالة هذه العشوائيات كفيل بالقضاء علي سكانها العشوائيين.

٢) المدرسة الوصفية:-

حيث نادي بتوفير مساكن شعبية للفئات المهمشة وعلي وجه الخصوص الذين ينزحون من الريف إلي الحضر، وإن توفير المسكن الحضري يساعد علي دمجهم، لكن وجدت العديد من الدراسات أن هولاء المهمشين يعانون من العديد من مشكلات التكيف، وخلص أصحاب هذه

(٢) محمد زكي أبو النصر: الإستبعاد الإجتماعي " الوجه الآخر للسياسة الاجتماعية". المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ٢٠١٢- ص ٢٦.

المدرسة إلي أن ظاهرة المهمشين تنتج عن أمرين هما محافظة النسق الريفي علي كيانه وعاداته وتقاليده، تقلص دور المجتمع الحضري في تحفيز هؤلاء علي التكيف [١] .

٣) مدرسة التحديث:-

تنبع آراؤها من المتصل القائم بين الريف والحضر، وتذهب إلي القول بأن الهامشيين هم من بين الجيل الاول أو الثاني من مهاجري الريف، وتهتم مدرسة التحديث بالتعرف علي الخصائص التي تتميز بها هذه الفئة، وذهب انصار مدرسة التحديث الي تطلب ثلاث خصائص فيمن ينتقل من الريف إلي الحضر لكي تتم عملية التحديث بنجاح الإيمان بأن التغيير ممكن ووجود الرغبة في التغيير، وبأن يكون الشخص قادراً علي رؤية وادراك البدائل والتكيف في ظل المواقف الجديدة، وانتهي انصار هذا الاتجاه إلي القول بأن غياب هذه الصفات يؤدي إلي ظهور الشخصية الهامشية.

٤) نظرية ديسال عن الهامشية:-

سعي "ديسال" وهو أحد مراكز البحث العلمي في أمريكا اللاتينية، إلي دراسة ظاهرة الهامشية دراسة واقعية متكاملة، فأسهم بذلك في فهم أفضل للظاهرة ومسبباتها، وذهب المركز إلي أن نشاة ظاهرة الهامشية في أمريكا اللاتينية ترجع إلي مسببات تاريخية، فقد فرضت الثقافة الاوربية علي الثقافة الاصلية في تلك المنطقة، وبذلك وجد ازدواج ثقافي أضفي ظلاله علي البناء الاجتماعي والقيم وعلي المجال السياسي، وبذلك وجدت هوة بين النسق الثقافي الدخيل وبين الطائفة التي تنتمي إلي الثقافة الاصلية، وترتب عليها

(١) محمد حسن غانم: مشكلات نفسية اجتماعية "الادمان – الجناح– العنف– إساءة معاملة الأطفال– تلوث البيئة والزحام".
www.kotobarabia.com

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة

تمزق في النسيج الوطني، وفي تحليل طبيعية الهامشية، وتتسم بالأبعاد التالية وهما غياب المشاركة في الحياة السياسية، ويتصل بالبعد الأول بل ويترتب عليه نتيجة أخري تتمثل في ضآلة ما يحصل عليه الهامشيون من مصادر الثروة في المجتمع، ويترتب علي البعدين السابقين خاصية أخري تتمثل في انعدام التماسك الداخلي بين الفئات الهامشية، فلا يضمهم تنظيم أو هدف مشترك ولذلك يعجزون عن الدفاع عن مصالحهم ويقعون فريسة للظلم والاستغلال(١).

٥) المدخل الأنثروبولوجي:-

إتخذ اتجاهات متعددة لفهم الواقع الحضري فأنصار المدخل التقليدي يركزون علي الهجرة، التكيف، دراسة الفلاحين المقيمين في المدينة، في حين يركز أنصار مدخل المشكلة الأساسية علي الأحياء المتخلفة والتدهور الحضري والسلوك الانحرافي، ويعطي مؤيدوا المدخل التحليلي التقليدي أهمية للبناء الاجتماعي(٢)، لكن الحقيقة لو استقرأنا التاريخ نجد أن الدراسات الانثروبولوجية ظهرت قبل هذا التاريخ أي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك في الربع الأول من القرن الماضي علي يد مدرسة شيكاغو بزعامة "روبرت بارك" الذي كان يقود قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو آنذاك، وكان ذلك في الدراسة التي صدرت سنة ١٩٢٣ تحت عنوان مجتمع الهولو أو الفئات بدون مأوي لصاحبها نلسن اندرسون الذي أجري هذه الدراسة من داخل مجتمع الهوبو باعتباره كان أحد أفراد هذا المجتمع الهامشي، ويمثل مجتمع "الهوبو" الفئات العمالية ذات الشغل الموسمي المؤقت، حيث تعيش هذه الفئات

(٢) عادل عازر، ثروت اسحق: المهمشون بين الفئات الدنيا في القوي العاملة. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، د.ت– ص ص ١٣، ١٤.

(١) طلعت مصطفي السروجي: تمكين الفقراء "استراتيجيات بديلة". مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١١– ص ٣٦.

العمالية في ترحال دائم داخل البلاد بحثاً عن فرص العمل في مجال الأرض وأشغال السكة الحديدية علي الخصوص، لكنها لا تملك مسكناً وإقامة مستقرة، ولهذا تلجأ عند نهاية العمل إلي هوامش وإطراف المدن لتقضي لياليها، لتنطلق في الصباح الموالي في البحث عن عمل [١].

٦) المدخل الراديكالي:-

من أبر رواد المدخل الراديكالي غاري"Gerry"، غرين"Green"، برومليي "Bromely"، بينفيلد "Benfield"، بورتس "Portes"، وموزر "Moser" ومجموعة من الباحثين الاقتصادين والاجتماعين الذين أهتمو بواقع الفئات الدنيا (الكتل الهامشية) والأنشطة التي تمارسها علي هوامش الاقتصاد وتوصف بالهامشية الطفيلية مما يجعلها من الظواهر الجديرة بالدراسة، وفي هذا السياق اهتم أنصار الاتجاة الراديكالي بالأفعال التي تقوم بها هذه الفئات، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية من أجل تغيير واقعها المعيشي، ولجأت إلي ممارسة العنف كحل لها تعبيراً عن عدائها للمجتمع وكل مؤسساته الرسمية (٢).

تتفق الاتجاهات الراديكالية في رفضها لتفسير الهامشية بارجاعها إلي خصائص أو سمات شخصية تتصف بها فئات معينة في المجتمع، وتتفق علي أن مركز الشخص في المجتمع وما يتمتع به تلك الطبقة من قوة في إطار التنظيم الاجتماعي القائم، ويذهب الماركسيون إلي أن ما تتمتع به الفئة أو الطبقة من قوة ومكانة في المجتمع يرتبط بالعملية الانتاجية وعلي وجه

(٢) محمد عزوز: مشكلات الاسكان الحضري "المناطق الحضرية المتخلفة لمدينة سكيكدة نموذجاً". جامعة منتوري قسنطينة، كليةالعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٦- ص٣٥.

(٣) صليحة مقاوسي: الفقر الحضري "أسبابه وأنماطه". جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧- ص٦٣.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة

التحديد بملكية وسائل الانتاج، وأن من يحرم من ملكية وسائل الانتاج يقع ضحية استغلال الفئة التي تمتلكها والتي تحتكر الثروة والسلطة، ويعتبر التهميش نتاج عملية تتمثل في العناصر التالية:-

أ) سيطرة طبقة أو فئة اجتماعية علي فئة اجتماعية أخري داخل إطار نظام للتدرج الهرمي.

ب) تسخير الفئات المهمشة في أنشطة اقتصادية لخدمة القوي المسيطرة.

ج) وضع عوائق اجتماعية واقتصادية وسياسية تسفر عن حرمان الفئات المهمشة من التمتع بحقوق ومزايا أساسية [١].

٧) الاقتراب الاجتماعي / السيكولوجي:-

يعتبر روبرت بارك هو الأب الروحي لهذا الاقتراب، إذ فجر في كتاباته الأولي في أوخر العشرينات قضية الهجرة والتهميش، وأكد أن المهمش هو هجين ثقافي فهو ذلك الإنسان الذي يحيا بعقلية مجتمعين في إطار بيئة ثقافية ذات عادات وتقاليد محددة، ويتأرجح ولاؤه بين مجتمعه الذي يعيش بالفعل مع أفراده والمجتمع الذي ينتمي بجذوره إليه، وهو في ذلك مسلوب الإرادة عاجز عن أن يندمج كلياً في المجتمع الجديد أو أن يبقي في المجتمع الأم، وربط بارك بين الهجرة والتهميش في إطار مفاهيم الاتصال والصراع الثقافي، فسبب التهميش -وفقاً لمقالته- يرجع إلي تلك الحرب الداخلية التي تدور رحاها داخل نفس أي انسان والتي أطلق عليها أسم الصراع بين الجديد والقديم وهو صراع بين عالمين أحدهما مألوف له ومعتاد عليه وهو المجتمع

(١) عادل عازر، ثروت اسحق: مرجع سابق- ص ١٤، ص ١٦.

الأم والأخر يطمح في الاندماج في أحد هذين المجتمعين وترك الأخر، أضحي المهمش بمثابة هذا الهجين الثقافي(١).

ويري "ستونكويست" أن الانسان الهامشي هو من حُكم علية قدره أن يحيا في مجتمعين وفي ثقافتين مختلفتين ولكنهما أيضاً متعاديتان، فالانسان الهامشي منتج عُرض لعملية المثاقفة، إنه نتاج للعملية التي تنمو من خلالها الحضارة علي حساب اللثقافات الأبسط والأسبق، حيث كان الفرد يحيا في مجتمع مستقر ونظم بقدر ما، فالتقليد والعادة يحددان مسار حياته العملية، ويملك الفرد هنا تقليداً قبلياً أو قومياً واحداً ليحصله، ولغة واحدة ليتعلمها، وولاءٍ سياسياً واحداً لينتميه، وشفرة أخلاقية واحدة ليلتزم بها، ودينا واحداً ليتبعه(٢).

٨) نظرية الهامشية:-

ركز أنصار هذا الاتجاه علي نقطة أساسية هي قضية اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية بأشكالها المختلفة من قهر واستغلال وحرمان ....إلخ، والتي تؤكد علي معاناة الفئات المدينية الدنيا، من بؤس وشقاء، وتزداد هذه الصورة وضوحاً إذا أدركنا واقع هذه الظاهرة "الهامشية" كظاهرة ملموسة وواقع اجتماعي واقتصادي وسياسي للفقراء، إذ تشكل كتلة كبيرة في التشكيلة الاجتماعية الراهنة وتصبح موضوعاً للصراع والخطابات المتطرفة وتغيير موازين القوي، الأمر الذي دفع الكثير من الباحثين إلي طرح تساؤلات حول قضية التهميش أهمها، من هم المهمشون والأكثر تهميشاً؟، هل تشغل هذه الفئة الواقعة في قاع السلم الاجتماعي حيزاً اجتماعياً كبيراً وأهميته داخل

(٢) أماني مسعود الحديني: المهمشون والسياسة في مصر. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٩٩– ص ٢٦.

(٣) آمال طنطاوي: المهمشون في صعيد مصر"آليات السيطرة والخضوع". الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢– ص ٢٣.

النظـام الاقتصـادي؟، هـل يسـاهم المهمشـون فـي تـدعيم البنـاء الاقتصـادي للمجتمـع؟، إن الإجابـة عـن مثـل هـذه التسـاؤلات تتطلـب ضـرورة مـس النظـام الاجتماعي ككل، فأساليب القهر والضبط لا يمارسها إلا النظام العاجز عن توفير العمل لمواطنيه، وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، بل تزداد رداءة وسوء أوضـاع الفئـة الهامشية فـي ظـل التفاوت الـذي يزداد هو الآخـر يومـاً بعد يـوم (١).

وقد أشار "جانيس بيرلمان" في دراسته لمجتمع الفافيلا الهامشي إلي وجـود معوقـات فـي المحـيط الخـارجي تمنـع تحقيـق التكامـل الاجتمـاعي والاقتصادي للفرد الهامشي، فرغم محاولات الهامشي استخدام الخدمات فإنه يعاني غالباً من الخزي والإحباط لأنه يجد النسق مغلقاً أمامه وغير مستجيب لاهتماماته ومصالحه، والهامشي منبوذ وموصوم في نظر المجتمع مما يجعله لا يحدد هويته أو مكان إقامته عند محاولة الحصول علي وظيفة، كما أنه يعـاني مـن الحرمـان الاقتصـادي والاسـتغلال لانخفـاض دخلـه بدرجـة كبيـرة، وتعتبر إمكانيات التدرج المهني غير متاحة أمامه، كما لا تمنحه تشريعات العمل ضماناً أجتماعياً أو تعويضاً في حالتي المرض والتقاعد (٢).

ويورد Perlman (١٩٧٥) بأن الفرد كلما ابتعد عن المركز كلما ساءت حالتـه وأصـبح أكثـر تهميشًـا، وعلـي الـرغم مـن أن الآثـار المرتبطـة بالتهميش لم تقتصر علي الهامش بل تتعداه إلي المركز، إلا أن هذا النموذج وكمـا يـرى الكثيـرون قـد عمـق مـن تلـك الآثـار، والتهمـيش مـن وجهـة نظـر Perlman يزيـد كلمـا ابتعـدنا مـن المركـز، ذلـك أن المركـز يمثـل مركـز الثقـل السياسـي والاداري والاقتصـادي، وعليـه يكـون الاهتمـام بـه بدرجـة أكبـر مـن

(١) صليحة مقاوسي: الفقر الحضري "أسبابه وأنماطه". جامعـة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،٢٠٠٨– ص ص ٥٩، ٦٠.

(٢) ابتسام علام: الجماعات الهامشية "دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة". ط١، مركز البحوث والدراساتالاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢– ص ٣٩.

الأطراف (الريف)، والتي يكون حجم الاهتمام بها متفاوتًا ومتباينًا بحكم قربها وبعدها كذلك عن المركز. ويتجسد تهميش الجماعات الفقيرة التي تعيش في الأطراف في حالات الحرمان، والخوف، وفقدان الحياة الآمنة.

ونظرية التهميش كما أبرزها واتس ١٩٨٣ نتاج لتداخل مجموعة من العوامل الطبيعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وهو بذلك أراد أن يبرز دور كل العوامل التي يمكن أن يكون لها دور وأثر في اختلال علاقة التوازن التاريخية بين الإنسان والبيئة وما ترتب عليها من سوء في التكيف الذي أصبح سمة مميزة وملازمة لكثير من المجتمعات في دول العالم الثالث.

*** إن نظرية التهميش تعمل من خلال عدة مفاهيم تشمل:**

١) التهميش الجغرافي: Geographical Marginality

ارتبط هذا المفهوم بالكتابات المتعلقة بالرعاة، والتي وصفت هجراتهم وتحركاتهم،فهو يشير إلى نقص الحيز المكاني، كما يشير إلى فقد الموارد. تبنت الدراسة هذاالمفهوم للوقوف على أثر سياسات الدولة (الانتاج الكبير) على المنتجين التقليدين من مزارعين ورعاة.

٢) التهميش الايكولوجي: Ecological Marginality

يشير هذا المفهوم إلى المحدودية التي تضعها البيئة أمام الانسان. وأن الأرض المهمشة ايكولوجيًا، هي تلك النظم البيئية الهشة، والتي تواجه بعقبات في انتاجها البايولوجي.التهميش الايكولوجي بالإضافة لكونه نتاج لمحدودية الموارد والعوامل الطبيعية، فإن العوامل البشرية لها دور كبير في تعميقه وزيادة حدته من خلال الأنشطة التي يمارسها الانسان.

٣) التهميش الاقتصادي: Economic Marginality .

هذا المفهوم تضمنته النظريات الاقتصادية الكلاسيكية، والتي عرفت فيها الفائدة أو الربح الاقتصادي بأنه صافي القيمة العائدة من الانتاج في الفترة الزمنية المحددة. يشير هذا المفهوم كذلك إلى انخفاض الاقتصاد المكافئ للأنشطة للمشتغلين بها، والذين هم مهمشون اقتصاديًا إلى جانب ذلك

فإن مفهوم التهميش امتد ليشمل الركود ومحدودية النمو في سوق العمل وفقدان الموارد.

٤) التهميش السياسي: Political Marginality .

ويعني نقص أو فقدان حقوق الفرد، والتي يجب على الدولة توفيرها، ويشمل ذلك الاحتياجات الأساسية، خاصً ة في الفترات الحرجة، حيث النقص في الغذاء، والتدهور في الموارد الطبيعية المتاحة. كما يشير المفهوم كذلك إلى ضعف برامج التنمية التي يجب تبنيها بواسطة الدولة [١].

ثالثاً : الاتجاهات النظرية المفسره لثقافة الفقر.

أسهمت المقولات السابقة عما عرف بالشخصية الهامشية في ظهور اتجاهات تسعي إلي إقامة نظريات تفسر ما أسماه أوسكار لويس بثقافة الفقر، ويعني بها تلك الثقافة التي تدعم وتنقل من جيل إلي أخر من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وهي في مجموعها تحول دون التغيير ودون الخروج من حلقة الفقر، وفي اتجاه مقارب ذهب جون جالبرث إلي أن غالبية الفقراء في الدول النامية يتعايشون ويتكيفون مع الفقر وثقافته، وأن القلة النادرة التي تتمكن من كسر طوق الفقر يهاجرون للافادة من فرص العمل في العالم المتقدم [٢].

وحدد أوسكار لويس مفهوم ثقافة الفقر بأنه أسلوب وطريقة للحياة يتوارثها الأجيال عن طريق التنشئة الاجتماعية في الأسرة، وثقافة الفقر عبارة عن مجموعة متكاملة من القيم والمعايير وسمات السلوك للأفراد الذين يعيشون

(١) حلو عبد العاطي محمد: التحول والتغير في نظم الاقتصاد الريفي بمناطق السودا الهامشية. رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الاداب، ٢٠٠٦ – ص ص ٥٣: ٥٩.

(١) عادل عازر وثروت اسحق: المهمشون بين الفئات الدنيا في القوي العاملة. مرجع سابق– ص ١٣.

في ظروف فقر معينة، وثقافة الفقر ليست حرماناً مادياً أو معنوياً ولكن أسلوباً أو طريقة للحياة تتميز عن الثقافة الكلية للمجتمع الأكبر[١] .

من المتعارف علية أن الفقر شأنه شأن الثروة ينتقل بسهولة عبر الأجيال أي يتم توارثه من جيل لآخر، حتي أن بعض المفكرين يؤمنون بما يطلق علية ثقافة الفقر، فنجد مثلا الأنثروبولوجي الأمريكي الشهير أوسكار لويس يري أن الفقير فقير لأنه يمتلك نسقاً ثقافياً خاصاً به يحافظ علي وضعه هذا كما هو، ويربط بين الفقر وبين الأزمات العنيفة التي تعصف كل فترة بالنظام الرأسمالي، وترتفع بموجبها معدلات البطالة والتعطل لمستويات قياسية لم يعدها المجتمع من قبل، ومن ثم نجد طبقات اجتماعية بكاملها تتردي بهوة الفقر، ومن ثم نجد أن ذلك الفقر يفرض أنماطاً معيشية علي هؤلاء يتمثل في غياب المقدرة علي تنمية المهارات والقدرات، وبالتالي تدني المستويات الوظيفية والتشغيلية التي يحصل عليها الفقير، ونتيجة لهذا يتضاءل الدخل للفقير بصورة لا تكاد تكفي معيشته، وبالتالي أيضاً يزداد بمستوي الحرمان الاقتصادي لديه بصورة تنعكس سلبياً علي مختلف جوانب من قصور في تنمية المهارات وقصور في التعليم والخدمات الصحية بل قصور شديد في المأكل والمشرب والمسكن، ومن ثم نجده دائماً يعاني من الفقر بكل أشكاله وصوره، هذا الأخير يفرض علي صاحبه نمطاً معيشياً لا يملك منه الفقير فراراً أو هروباً ليصبح الفقر بمثابة قدراً يلازم صاحبه من المهد إلي اللحد [٢].

ويمثل هذا المفهوم نقطة التقاء مع نظرية الهامشية بما يشير إليه من سمات للفقراء، ولا يقتصر التشابه بينهما في التاكيد علي سمتين فقط وهما نقص المشاركة ونقص التكامل، وإنما هناك أيضاً تاكيد علي أن الهامشيين أو

(٢) طلعت مصطفي السروجي: تمكين الفقراء "استراتيجيات بديلة". مرجع سابق– ص ١٣٣.

(٣) أحمد عبد الفتاح ناجي: تمكين الفئات المهمشة من منظور الخدمة الاجتماعية "أسس ومبادئ وأساليب واتجاهات". المكتبالجامعي الحديث، الاسكندرية، ٢٠١٤– ص ٣٧٣.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة

الفقراء تتجسد لديهم ملامح التخليد الذاتي للفقر، وبالتالي فهؤلاء المنبوذون سوف يستمرون هكذا، وبهذا يتم لوم الفقراء لظروفهم، كذلك يتفق المفهوم مع نظرية الهاشية في تناول قيم ومعايير الفقراء من منطلق ثقافة الطبقة الوسطي، ويسهم المفهوم كمبرر لبرامج المساعدات لهؤلاء الفقراء، والتي لا يمكن أن تقدم حلاً حقيقياً لمشاكلهم (١).

وكان أول ما عرضه أوسكار لويس من دراسات في هذا الشأن هو تناوله بالدراسة والتحليل لدراسة خمس حالات لخمس أسر في مكسيكوستي، متتبعاً حياتهم اليومية بالتفصيل في كل الأنشطة الفردية والجماعية، والعلاقات التفاعلية ومستوي الفردية والعادات الغذائية والملبس والقيم الحاضرة والمستقبلية والنظرة إلي الذات وإلي المستقبل والرؤية تجاه الآخرين والتعامل مع الأبناء والقيم الأصيلة وقيم الاستهلاك والعمل والتدين أو لقيم الأخلاقية، وكان المحك المنهجي عند لويس في هذا الشأن هو اختياره لتلك الأسر علي خط متفاوت من درجات الفقر والخلفية والمكانة الاجتماعية التي تميز كل منها عن الآخر، ثم تبلورت بعد ذلك أفكار لويس وأصبحت أكثر تحديداً من خلال دراستين له الأولي عن أطفال سانخير والثانية حول لافيدا، حيث درس في الأولي حالة إحدي الأسر الخمس دراسة مركزة وتتبعية عبر الزمن، أما في الثانية فكان تركيزة علي المهاجرين البوتوريكيون الذين استقروا ويعيشون في مدينة نيويورك، ومدي تأقلهم مع حياة المهجر والمجتمع الجديد، وانتهي أوسكار لويس إلي أن دراسة الفقر يمن تناولها في مراحلها البحثية التالية هي الفقر، ثم ظاهرة الفقر، ثم ثقافة الفقر، ثم الثقافة الفرعية للفقر (٢).

(١) ابتسام علام: مرجع سابق– ص ٤٣.

(٢) محمد عباس إبراهيم: التنمية والعشوائيات الحضرية "إتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية". دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٨– ص ١٩١.

وأيضاً من أطروحات لويس يبدو أن هناك دائما تناقض لتقييمات الفقراء، معبراً عنها في الأمثال والأدب والفن. بعض من هذه التناقضات بحسب لويس، تنبع من الصراع على السلطة بين الجماعات المتنافسة. غير أن البعض الآخر ينبع من الفشل في التمييز بين الفقر بحد ذاته وثقافة الفقر، ومن الفشل المماثل في التمييز بين الفروق الفردية والجماعية (الأسرة، الاحياء الفقيرة). وتبين أن يوجد أوجه للتشابه عبر الأقاليم وعبر الوطنية لبعض الفقراء في هيكل الأسرة، والعلاقات بين الأشخاص، والتوجه الزمني وأنماط الإنفاق، وأنظمة القيمة، وأنها تتكيف مع بعض المشاكل المشتركة. وسوال يطرحة لويس وهو "ما هي المشاكل والظروف المواتية لتنمية ثقافة الفقر؟" يجادل لويس بأنهم يتدفقون من مجتمع رأسمالي صناعي مع عدم المساواة المتأصلة فيه. وبعض خصائصها هي: العمل المأجور والإنتاج من أجل الربح، وارتفاع معدل البطالة؛ العمالة الناقصة للعمالة غير الماهرة؛ انخفاض الأجور؛ الفشل في توفير منظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للسكان، نظام القرابة الثنائية؛ قيم الطبقة المهيمنة التي تشدد على تراكم الثروة والممتلكات وإمكانية الحركة الصعودية، والاقتصاد في الإنفاق؛ وإلقاء اللوم على الفقراء [١].

لقد عدد أوسكار لويس سبعين سمة لثقافة الفقر صنفه إلي أربع فئات هما:-

١) العلاقة بين الثقافة الفرعية(ثقافة الفقر) والمجتمع الكبير: وتشمل هذه الفئة مجموعة خصائص مثل نقص وضعف المشاركة الفعالة وصعوبة إندماج الفقراء في مؤسسات المجتمع، وعدم المشاركة في المنظمات الموجودة كالنقابات والأحزاب السياسية، ولا يساهمون في النظام الاقتصادي الأوسع.

(١) Gajdosikienė, Indrė: Oscar Lewis "culture of poverty, critique and further development", ٢٠٠٤- p٨٩.

http://www.journals.vu.lt/sociologija-mintis-ir-veiksmas/article/download/٥٩٥١/٤٨٥٩

٢) طبيعة الأسرة: فالأسرة في تلك المناطق تتركز حول الأم، وشيوع التسلية داخل الأسرة، وكثرة حالات هجرة الأزواج للزوجة والأطفال، وكثرة اللجوء إلي العنف بالإضافة إلي الإفتقار إلي الخصوصية.

٣) الاتجاهات والقيم وبناء الشخصية: فالأفراد الذين ينتمون إلي ثقافة الفقر تبدو لديهم الشعور بالقدرية والإتكالية وانتشار عقدة الاعتزاز المفرط بالذكورة وعدم احترام الذات وعقدة النقص والإحباط وارتفاع درجة الحساسية نحو تمايز المراكز، وأخيراً غياب الوعي الطبقي.

٤) طبيعية المجتمع المحلي: حيث يقسم هذا المجتمع بيئة فيزيقية متردية، وإسكان غير مناسب، وارتفاع معدلات التزاحم، وقلة تدهور الخدمات، والتفكك الاجتماعي [١].

بينما فالنتين "Valentine" أوضح بعد ذلك أنه رغم أهمية مفهوم الثقافة الفرعية، إلا أن أوجه الحرمان الرئيسية التي يعانيها الفقراء ووضعهم البنائي داخل النسق الاجتماي ناتجة في مجملها من سلوك واتجاهات أخري ليست للفقراء، ولذا كان موقف "فالنتين" أقل شدة من اتجاة لويس، واتخذ ببناك "Papneck" موقفاً مؤيداً لما سبق وأقر بوجود خصائص لا تتلاءم مع مكونات ثقافة الفقر مثل الاتفاع دخل المهاجرين الفقراء، وتمتع أغلبيتهم بمستوي تعليمي، وأقامتهم مستقرة فهم غير منعزلين عن البيئة الحضرية [٢].

وقد تعرضت نظرية أوسكار لويس للنقد، لانها تلقي باللوم علي الفقراء، ويستند النقد علي فكرة مؤداها أن هذا الوضع البنائي للفقراء داخل النسق الاجتماعي ليس مسؤوليتهم وحدهم إنما هو نتاج لسلوكيات واتجاهات غير الفقراء الذين يسعون علي إبقاء الوضع الاجتماعي والثقافي لتلك الفئة علي ما هو عليه لأجل صالحهم.وإن النظرية تدعو إلي تحقير الإنسان والحد

(٢) حمدي علي أحمد: المجتمعات الجديدة بين سياسة الانتشار الحضري والتنمية المتوازنة. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،٢٠٠٩– ص ٨٧.

(٣) صليحة مقاوسي: مرجع سابق– ص ٥٧.

من قدراته ومهاراته ومن هؤلاء توماس جلادوين الذي يري أنه ليس بالضرورة أن يرتبط الفقر وثقافته وسلوكياته بانخفاض مستوي الدخل الاقتصادي، ويري أن الفقراء لا يختلفون عن أبناء الثقافة الكلية السائدة المسيطرة وهم كثيراً ما يشعرون بالاحباط فلا يستطعون تحقيق طموحاتهم وأهدافهم [١].

رابعاً : الفقر والتهميش والاستبعاد

في حين يقول بعض المؤلفين أنه لا يوجد فرق بين الفقر والاستبعاد الاجتماعي (مثل Somerville, Bhalla, Lapeyre, Nolan and Whelan)، بينما يجادل آخرون بأن المفهومين يختلفان بشكل أساسي عن بعضهما البعض في عدد من النواحي مثل Snel, Vrooman, Abrahamson,Tsakloglou,Berghman Saraceno, Todman, Papadopoulos) غالبا ما يتم ذكر الفروق التالية:

* حالة ثابتة مقابل عملية ديناميكية:- الفقر يشير إلى حالة ثابتة تتعلق بوضع الدخل أو نمط الاستهلاك القياسي في لحظة معينة، أما الاستبعاد الاجتماعي ديناميكي ويتعلق بالعملية التي يتم من خلالها استبعاد الأشخاص.

* المفهوم المطلق مقابل النسبي:- يمكن تصور الفقر على أنه نقص مطلق، على سبيل المثال الأشخاص الذين لا يحققون مستوى الدخل اللازم لتحقيق احتياجاتهم الأساسية. لا توجد نقطة ترسيم مطلقة للاستبعاد الاجتماعي، حيث لا يمكن تقييمه إلا بطريقة نسبية من خلال مقارنة ظروف الأشخاص تجاه الآخرين في السياق الاجتماعي التاريخي نفسه.

(١) حورية مصطفي أحمد مصطفي: التكيف الثقافي للفقر في المناطق العشوائية. جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية،٢٠١٠- ص ١٨.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة

* أحادي البعد مقابل متعدد الأبعاد:- يرتبط الفقر ببعد واحد وهو نقص الموارد المالية أو المادية، أو الحرمان من الدخل. أما الاستبعاد الاجتماعي ينطوي على عجز في العديد من الأبعاد، والتي ترتبط "بالمواطنة الكاملة" أي العمل المدفوع الأجر والدخل، والتعليم، والإسكان، والرعاية الصحية، والمساعدة القانونية، وسهولة الوصول إلى الأحكام العامة.

* التركيز التوزيعي مقابل تعدد العلاقات:- الفقر يتعلق بتوزيع الجوانب الاقتصادية من الحرمان في الدخل أو الاستهلاك. أما الاستبعاد الاجتماعي يتعلق أيضا بالجوانب الاجتماعية والثقافية، مثل التضامن، والروابط الاجتماعية، والمشاركة، والتكامل، والانخراط، والتمييز، ومعايير المواطنة الاجتماعية (مثل المعاملة بالمثل، والالتزامات المتبادلة). ويوصف هذا الاختلاف في كثير من الأحيان بأنه الطبيعة المادية مقابل الطبيعة غير المادية للمفهومين [١].

يعد التعرض لأهم المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الاستبعاد يجب الإشارة إلي العلاقة بين مفهوم الاستبعاد ومفهوم الفقر، من الاستخدامات الواسعة لمفهوم الاستبعاد تلك التي تناولت علاقته بالفقر ففي الوقت الذي جسد فيه الفقر أبعاداً مادياً للاستبعاد وبروزاً في تشخيص واقع المجتمعات وإمكانية للتعامل معه بالإصلاح، أضاف الاستبعاد ذاته في أطره النظرية كمفهوم إلي الفقر أبعاداً سياسية وقانونية، ويعني الفقر تدني أنصبة الفرد من النواحي المادية والاجتماعية والعاطفية فهو قد يعني تقلص الطعام والكساء عما يجب أن يتحقق من الداخل [٢].

(١) Jehoel-Gijsbers, Gerda, and Cok Vrooman: "Explaining social exclusion."The Netherlands

Institute for Social Research, The Hague, July ٢٠٠٧, p١٣.

(٢) عزة محمد محمود الطنبولي: الاستبعاد الاجتماعي "مجهولي النسب نموذجاً". دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،٢٠١٧- ص ١٦٩.

ولا يمكن إعتبار علاقة الفقر بالاستبعاد نوعاً من المكافأة للفقراء، بانتقالهم من زوايا النسيان إلي دائرة الضوء والاهتمام، فمن الممكن أن تكون فقيراً، إلا أنه ليس من الضروري أن تكون مستبعداً، فليس كل المستبعدين فقراء، وهذا ما أظهرته المسوح والبحوث في هذا الصدد، وطبقاً لتقارير منظمة العفو الدولية يوجد بلداً فيه المثليون جنسياً والشواذ علي اختلاف وتعدد أنواعهم من الأنواع التي تتعرض للإضطهاد وتستبعد، ويمكن إفتراض أن بعضاً منهم في النهاية يحتل أعلي قمة الثراء في المجتمع، لكنه أقل من أن يحوز المواطنة، ولهذا ينظر إليهم كأمثلة للأشخاص المستبعدين دون أن يكون للفقر علاقة ما باستبعادهم [١].

كان انتقال الحكومات الأوروبية من استخدام خطاب الفقر إلي استخدام خطاب الاستبعاد كما يشير "استيفال" يخدم أغراضاً سياسية حيث ارتبط بإيديولوجيات الحكومات، فالتركيز علي سياسات الفقر يثير حتماً المسائل السياسية الصعبة حول توزيع الثروة في المجتمع بالإضافة إلي ذلك فإن الحديث عن الفقر حديث لا ينتهي فهو وكما يقول المثال المشهور "دائماً هناك أشخاص فقراء ودائماً سوف يكون"، ومن ثم تطور مفهوم الاستبعاد منذ الثمانينيات في أوروبا ليتسم بألوان متعددة أيضاً من الحرمان وبمشكلات الفقر الجديد، حيث اقترن بالبطالة والعمالة غير الماهرة والمهاجرين وفي حين أن الفقر والاستبعاد مفهومان متشابكان إلي حد كبير فقد وصف الاستبعاد الاجتماعي الحواجز التي تجعل من الصعب أو المستحيل علي الناس أن يشاركوا مشاركة كاملة في المجتمع أو الحصول علي مستوي معيشي لائق

(٣) محمد زكي أبو النصر: الإستبعاد الإجتماعي " الوجه الآخر للسياسة الاجتماعية". مرجع سابق– ص ٣١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة

بينما فقر الدخل يعد السبب الأكثر شيوعاً للتاكيد بأن هناك استبعاد اجتماعياً أو إقصاء [١].

حيث يزداد فقر النساء بسبب التهميش والاستبعاد والحرمان من الحقوق، والفجوة النوعية واضحة في حيازة كل من الذكور والإناث للأراضي الزراعية، وتوضح البيانات الصادرة من وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي أنه حتي أبريل ٢٠٠٢ وصل عدد الحائزين للأرض من الذكور ٨,٤٣٤,٨٤٦ حائزاً، في حين أن عدد الحائزات الإناث للأرض من الإناث يصل إلي ٢٧٦,٨٣٠حائزة، يمثلن ٥,٢٧% من جملة عدد الحائزين، وعلي مستوي المحافظات فإن هذه النسبة تصل إلي ٧,٢٨% في الوجه البحري، و٤,٥٦% في محافظات الحدود، و٢,٧٨% في الوجه القبلي. وفي سوهاج ترث المرأة الأرض في مناطق في حين لا يسمح لها في مناطق أخري، وفي كل الأحوال لا يسمح لها بإدارتها حتي لو ورثتها، ويسري ذلك علي محافظتي الدقهلية وأسيوط، وفي حضر محافظة شمال سيناء تتزوج المرأة من قريبها كشرط لتوريثها الأرض، وكذلك الحال في الفيوم [٢].

(١) نادية سلامة هاشم حسن: تعليم الجيل الرقمي بالمناطق المحرومة "دراسة سوسيولوجية لملامح الاستبعاد الاجتماعي في مصر جامعة القاهرة، كلية الدراسات العليا للتربية، ٢٠١٧– ص ١٣٤.

(٢) نادية حليم: أوضاع المرأة واحتياجاتها في الأسر الأكثر فقراً "دراسة في محافظة الشرقية. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠١٥– ص ص ٤٠، ٤١.